

الاسم اللقب: فريدة ملوكي

التخصص: نقد حديث ومعاصر

الرتبة: أستاذ محاضر ب

الجامعة: محمد الصديق بن يحي جيجل

البريد الإلكتروني: arigefarida@yahoo.com

نشأة أدب الطفل التراثي السردى الشفوى

اهتم الباحثون في الدراسات الأدبية العربية بالبحث في أدب الطفل من الناحية التاريخية حيث ظهرت بعض الدراسات المعمّقة، ولعلّ من أشهرها كتاب "أحمد زلط" المعنون ب: أدب الطفولة، أصوله ومفاهيمه.

اعتمدنا على هذا الكتاب في بحثنا، باعتباره الوثيقة الأدبية التاريخية الأكثر تعمقا في تأريخ لأدب الطفل العربي، محترما كل خصائص المنهج التاريخي التي يعرف بها. إذ سنطبّق هذا المنهج في تحديد نشأة الفن القصصي الشفوي التراثي مركزين على الحكايات الشعبية (العجيبة والخرافية والمرحة) كونها الأكثر تداولاً في المجتمعات العربية وسنكمّل عمل الباحث ببعض الإضافات مركزين فيها على عملية الشرح والتفسير التي لا نلمحهما في عمل الناقد أحمد زلط.

يثار تساؤل مهم في هذه الدراسة وهو: هل أثر هذا النمط التراثي السردى الشفوي على نشأة الطفل العربي وعلى الجو الأسري في الزمن الماضي والحاضر؟

أولاً: تعريف المنهج التاريخي

بحثنا في كتب النقد عن تعريف محدّد للمنهج التاريخي فوجدنا أن تعريفات أغلب النقاد تتميز بالتعميم والشمولية، كالتعريف الذي نلاحظه عند الدكتور عبد المنعم إسماعيل، حيث ربط المنهج التاريخي بالمناهج النقدية السياقية الأخرى (المنهج الاجتماعي والمنهج النفسي) وجعل هذا المنهج يتفرع إلى أربعة إتجاهات: " الإتجاه النفسي والذي يهتم فيه الناقد بدراسة وتحليل الأدب من خلال البحث في حياة الأديب ونفسيته وفي الإتجاه الثاني والثالث يركز على الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية على أساس لأنه جزء من الإبداع الاجتماعي للعقل الإنساني، وأخيرا يهتم الإتجاه الرابع بتفسير التاريخ بمصطلحات يتعلق بعضها بروح العصر ويتعلق بعضها الآخر بالمناخ الذي وجدت فيه الفكرة التكاملية المستمدة أساسا من خصائص الفنون الأخرى"¹.

نلاحظ أن الناقد قد أدمج المنهج النفسي مع المنهج التاريخي، فهو يرى أن الدراسة التاريخية الأدبية تجمع بين التحليل النفسي، من خلال إخضاع شخصية الأديب إلى التحليل النفسي، في دراسة مدى تأثير الأوضاع السياسية على نفسية المبدع. وفيما يتعلق بربط الأدب بالمجتمع وبالتركيز على الظروف الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، فهذه الدراسة قريبة من المنهج التاريخي، بل تجسد العمود الرئيسي في الدراسة النقدية التاريخية، لأن إنتاج الآثار الأدبية من طرف المبدعين كان نتيجة التأثير بالظروف والعوامل الاجتماعية والمواقف السياسية.

ويذهب الدكتور سمير سعيد حجازي إلى تأكيد هذه الفكرة حيث يقول: "... إنّ الدراسة الموضوعية للوقائع الأدبية تتطلب تحليل هذه الوقائع على ضوء الظروف الاجتماعية والفردية، والمعايير الأدبية التي أحاطت بتلك الوقائع وبالتالي لا يفسر تاريخ الأدب إلا بالاستعانة بمفاهيم النقد الأدبي، والسوسيولوجي، والسياسي، واللغوي....، على اعتبار أن الوقائع الأدبية ليست نتاجا مباشرا لدوافع فردية صرفة بقدر ما تفسرها أسبابها التاريخية والاجتماعية التي تعد العلل الحقيقية الكامنة وراء أحداث ووقائع التاريخ الأدبي."²

ويضيف الناقد أن: " الوقائع الأدبية ليست وقائع منفصلة الواحدة عن الأخرى، وإنما هي معطاة ككل وظيفي وتربط بعضها ببعض. لا يمكن فصل هذه الوقائع عن سياقها التاريخي والاجتماعي، أو تفسيرها بعيدا عن مواقف الحياة الثقافية. فالماضي الأدبي هو جزء لا يتجزأ من الماضي الاجتماعي والتراث الثقافي، كما أن موقف الكاتب في التاريخ الأدبي إنما يتكامل مع المواقف الاجتماعية والتاريخية."³ ويعني الباحث بهذا القول أن المنهج

¹ انظر عبد المنعم إسماعيل، نظرية الأدب ومناهج الدراسة المقارنة، ج2، مكتبة الفلاح، 1981، ص 104، 105، 106.

² سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر بين النظرية والتطبيق، دار الآفاق العربية، القاهرة، ط1، 2007، ص: 189.

³ المرجع نفسه، ص: 190

التاريخي يبني على العلاقة الجدلية بمعنى لا يمكن فصل التاريخ عن الاطار الاجتماعي أو الثقافي، فهناك علاقة جدلية بين الحوادث التاريخية والمجتمع الذي صدرت منه.

ولا يركز الباحث على الوقائع الخارجية فقط، بل يعتمد أيضا على التسجيل التاريخي أي جمع الحقائق التاريخية حيث صرح: "أن الناقد التاريخي يستخدم المنهج لتفسير ووصف ماضي الظواهر الأدبية ويوضح لنا كيف جاءت وأين ومتى ظهرت؟ فإذا طبق المنهج التاريخي للأدب دون الاستناد إلى وثائق يقينية مؤكدة، يكون الناتج حتما بعض الافتراضات الظنية غير القابلة للتحقيق. ولكن منهج تاريخ الأدب الحق هو الذي يعتمد أصلا على الحقائق المؤكدة والثابتة، استنادا إلى الوثائق الأصلية التي تستخدم لاستجلاء الوقائع الأدبية".¹

حاول الناقد سمير سعيد حجازي أن يقدم تعريفا يعتمد عليه في الدراسة التاريخية الأدبية فقد جمع بين التاريخ الأدبي وبين النقد، بمعنى أنه اهتم بتفسير التاريخ وتتبع الأحداث بالتسلسل مع الاعتماد على الوثائق المحققة دون أن ينسى تفسير الوقائع الأدبية على ضوء روح العصر. ونرى أن الباحث استمد أفكاره من النظريات التاريخية النقدية الأوروبية، حيث أشار إلى نظرية المواقف التاريخية في حديثه عن تأثر الكاتب بالمواقف التاريخية والاجتماعية في إنتاج إبداعاته الأدبية. وتظهر نظرية الناقد الإنجليزي " سبيلر" في تفسير الظواهر الأدبية والبحث في ظروف نشأتها وتكونها. وفيما يلي سنعرف بأهم النظريات التاريخية النقدية التي أشار إليها سمير سعيد حجازي مع ذكر نظرية ريجيسبلاشير التي لاقت صدى في النقد العربي.

أهم النظريات التاريخية النقدية

نظرية الناقد الإنجليزي سبيلر spiller

وضّح سبيلر مهام المؤرخ الأدبي وحدّد مواجهات عمله. فهذا الأخير " يلتقي في عمله مع الباحث التاريخي من جهة والناقد الأدبي من جهة أخرى، فهو يكون باحثا تاريخيا عندما يحاول اكتشاف طبيعة بعض الوقائع الأدبية. وهنا يصبح كالباحث العلمي في أي مجال من المجالات، عليه أن يحدّد الظاهرة موضع بحثه تحديدا دقيقا وأن يشكّل للظاهرة عددا من الفروض أو التساؤلات ويحاول أن يضع لها إجابات مؤقتة قبل الشروع في بحثه. ثم تأتي المرحلة الثانية وهي عملية النقد التاريخي "². فبعد جمع البيانات وتنظيم الوقائع الأدبية تنظيما منطقيا يذهب

¹ المرجع نفسه، ص: 189.

² سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص: 191، 192.

المحلل إلى التفسير حيث يجب على التساؤلات التالية كيف تمت الآثار الأدبية، ولماذا ظهرت وأين نشأت ومتى ظهرت؟ وعلى المحلل أن ينظر إلى الوقائع نظرة مجملية، فينظر في ظروف كتابتها ونشرها والظروف التي أسهمت في تحديد شكلها واتجاهها دون عزلها عن سياقها التاريخي.

نظرية المستشرق الفرنسي ريجيسبلاشير

برزت نظرية "ريجيسبلاشير" أكثر من خلال نشره لكتابه المسمى "تاريخ الأدب العربي"، حيث تتبّع المراحل التاريخية المتعددة التي عرفها الأدب العربي وهو يركز دراسته "على الأدب من حيث هو أدب، أي أنه يحاول أن يعالج الآثار الأدبية على ضوء علاقتها ببعضها البعض"¹. ففي حديثه عن الأدب قبل الإسلام وبعده، لا يتناوله إلا من ناحية تطوره الشكلي مع إشارات عابرة لبيئته وظروفه التاريخية.

نظرية المواقف التاريخية

يرى أصحاب هذه النظرية أنه من الواجب وصف الآثار الأدبية وتفسير مصدرها في وضعها الخاص، أي النظر إليها على ضوء مواقف معيّنة. فأصحاب هذه النزعة ينظرون إلى الآثار الأدبية في استجابتها أو في صراعاتها لموقف من المواقف، فهم يعتقدون بأن هناك مواقف معينة تثير عالم الكاتب وكما يجب على الناقد أن يلتفت إلى المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها هذه الآثار الأدبية.²

خصائص المنهج التاريخي

قدّم الباحث الجزائري عمّار بن زايد تعريفاً للمنهج التاريخي جمع فيه أغلب خصائص هذا المنهج حيث يقول: "المنهج التاريخي كما هو معروف يعتمد على مبدأ الشرح والتفسير متعقبا تطور الظواهر الأدبية من عصر إلى آخر رابطا الأحداث بالزمن مقسما الأدب إلى عصور، واصفا كل أديب في إطار علاقته بالصفة الغالبة للعصر. وهو لا يكتفي بالنظر في مؤلف واحد من مؤلفات الأدب كما أنه يعني بشخصية هذا الأخير وبتكوينه الثقافي وبيئته السياسية والاجتماعية."³

¹ المرجع نفسه ، ص: 192.

² عمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، ص: 190.

³ عمار بن زايد، النقد الأدبي الجزائري الحديث ، دار مجدولاي للنشر والتوزيع ، الأردن ، ص: 225.

ذكر الباحث أن المنهج التاريخي يعتمد على الشرح والتفسير، فعلى الناقد أن يحلل ويدرس كل ما جاء به الكاتب من حقائق، وأن ينقد ويصدر أحكامه معتمداً على الحجج والأدلة وهذا ما أكدته الدكتور "شلتاغ عبود" في قوله: "على الناقد أن ينظر إلى العمل الأدبي على أنه نقد يعالج النصوص ويفسرها ويحكم عليها وليس مؤرخاً تهمه الأحداث بالدرجة الأولى".¹

وأشار الباحث إلى تتبّع تطور الظواهر الأدبية من عصر إلى آخر رابطاً الأحداث بالزمن مقسماً الأدب إلى عصور، واصفاً كل أديب في إطار علاقته بالصفة الغالبة للعصر. تعتبر هذه الخطوة من أهم الخطوات في الدراسة النقدية التاريخية، إذ يعتمد عليها معظم النقاد في دراساتهم النقدية.

وفي تقديم الباحث للاستدلالات والبراهين يرجع إلى الوقائع الأصلية كالبحث في حياة المؤلف الخاصة ظروفه الاجتماعية والسياسية وبيئته والعوامل التي تحكمت في ظهور آثاره الأدبية.

ونجمل القول أن الدراسة النقدية التاريخية في مختلف الاتجاهات النقدية تعتمد على البحث التاريخي (تسجيل الحقائق التاريخية) وعلى النقد التاريخي (عملية التفسير والشرح).

سنعرج إلى مدونة الباحث "أحمد زلط"، طبق فيها نظرية ريجيسبلاشير محترماً فيها خصائص المنهج التاريخي وهي: التوثيق، التحقيق، التتبع الزمني لتطور الظواهر الأدبية. فقد تتبّع الدارس تطور فن أدب الطفولة في العصرين الجاهلي والإسلامي متوقفاً عند العصر الأندلسي حيث خصص دراسته للنصوص الأدبية التراثية معتمداً على المصادر التاريخية القديمة.

سنركز في تحليلنا على نظرية الناقد الإنجليزي "سبيلر" Spiller، حيث وضّح أن المؤرخ في عملية النقد التاريخي يعتمد "على التفسير في البحث عن الظروف التي أسهمت في تكون الآثار الأدبية دون عزلها عن سياقها التاريخي".²

ثانياً: تأصيل لفنون النثرية التراثية لأدب الطفل

¹ شلتاغ عبود شرارد، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان الأردن، ص: 225.

² سمير سعيد حجازي، مناهج النقد الأدبي المعاصر، بين النظرية والتطبيق دار الافاق العربية القاهرة ط1، 2007، ص، 191.

يقرّ أحمد زلط في الفصل الثاني من الباب الأول الخاص بالفنون الثرية التراثية بأن جمع التراث الشعبي لأدب الطفل لم يكن منذ زمن بعيد وإنما جاء متأخرا جدا، فعملية تأصيل هذا الأدب ليست بالأمر السهل إذ تحتاج إلى باحثين مختصين ومحققين في التاريخ الأدبي العربي .

الحكايات القصصية في الأدب العربي

بحث الناقد في جذور أدب الطفل العربي السردى فهذا الأدب قديم قدم الانسان مستندا إلى رأي المستشرقين المنصفين حيث يقول أحدهم : " وصل العرب بفن الحكايات الخاص بهم إلى حد الاكتمال الفريد تم هناك قيمة العبر الخالدة من حيث أنهم خلقوا عن طريق فنهم في الرواية صورا جديدة كل الجدة سواء من خلال تلك الحكايات التي نشأت عنهم أو عن طريق تلك التي أخذوها من الشعوب ."¹

فالعرب شأنهم شأن الشعوب الأخرى ، اهتموا بتأليف القصص والحكايات الشعبية والخرافية وغيرها من الحكايات التي تتضمن التسلية والاقناع والتعليم والتهديب بحسب البيئة التي يعيش فيها الطفل . ومن أبرز تلك القصص، قصص الحيوان الخيالية التي تستهوي الطفل وتجذبه .

ويذكر الباحث أن العرب كانوا يعيشون في بيئة صحراوية مما ساعدهم على الإبداع والتخيل حيث ظهرت الحكايات والقصص الخرافية في بدايات ظهور أدب الطفل في تراثنا العربي ، وتعتبر هذه النصوص الأدبية الخيالية قديمة قدم الأدب العربي وقد عثر على قصص الجان الخرافية وقصص الحيوان في الحياة العربية "منذ عصر ما قبل الإسلام"² ظلت متداولة شفويا ودون البعض منها في كتب اللغة والأدب وأخبار وأيام العرب ، وتجلب هذه القصص السرور والمتعة للطفل وتحفيز خيالهم وذلك من خلال الشخصيات غير البشرية التي تحمل صفات الانسان وتتصرف مثله ، تجعل الطفل يستلطف سرد تلك

القصص ويجبها إذ تدخله في الخيال الواسع الجميل فيحس بالمتعة ويتمنى أن لا يخرج من ذلك العالم الخيالي. وقد حظيت هذه الحكايات باهتمام كبير عند الحكام والأمراء إلى جانب فن الأساطير الذي ظهر عند

¹ احمد زلط ، أدب الطفولة . أصوله ومفاهيمه ، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997، ص : 37 .

² احمد زلط ، أدب الطفولة . أصوله ومفاهيمه ، المصدر السابق، ص : 37 .

العرب مع ظهور الإسلام حيث اشتهر الحكواتي وهو تميم الداري برواية القصص الأسطورية من " أشهر مارو بالجساسة والدجال " ¹.

ويوضح الدارس أن أدب الطفل متجدد ومتطور مع التطور الزمني ويمس هذا فن الحكايات الشفوية المتداولة تحكى بطرق مختلفة تناسب كل منها زمن روايتها والبيئة التي تحكى فيها . ويذكر الناقد مؤلفي "ألف ليلة وليلة وكليلا ودمنة" اللذان يعتبران من أشهر الإبداعات العربية التراثية المتضمنة لأدب الطفل فهي تحوي حكايات خيالية تستهوي الطفل كما أشار إلى منجز "حي بن يقضان" وبعض مقامات بديع الزمان الهمذاني وغيرها من النوادر والأمثال الوعظية والأدب الحكيم أو القصص المسلية .

ويعد كتابي ألف ليلة وكليلا ودمنة من الكتب الأولى ذات الصيت الواسع في العالم ، فمن خلال الكتاب الأول ظهر أدب الرحلات اقتباسا من حكايات السندباد البحري واشتهرت حكايات الحيوان تأثرا بكتاب كليلا ودمنة، ومن أبرز خاصية لهذين المؤلفين هي الاعتماد على الخيال الذي ينمي لدى الطفل معرفة الكون والكائنات التي يراها ويعيش معها ، أي ارتباط الطفل بالواقع الذي يعيش فيه وذلك من خلال النهايات الوعظية لتلك الحكايات التي تعلم الطفل كيف يعيش في واقعه مع الشخصيات التي تمثل الخير أو الشر ، وتركز على عامل التربية والتهديب واستقامة السلوك في المجتمع إذ تجمع بين المنفعة والتسلية .

الأمثال الحكيمة

تكلم الدارس عن الأمثال والحكم التي ظهرت في العصر الإسلامي أكثر مستخرجا البعض منها من القرآن والحديث النبوي ويبن أن هذا الفن الأدبي ظهر عند العرب في الجاهلية والإسلام، موجه للكبار والصغار ومن أشهر الرجال الحكماء "أكثم بن صيفي" في الجاهلية والإمام "علي بن أبي طالب" في الإسلام ، وتميز العرب بالعقل والحكمة حيث كانوا يستشيرون الحكماء في تسيير أمورهم في الحياة واستدل الناقد بذلك من قول ابن رشيق : " أن العرب كانوا أتم الناس عقولا وأحلاما وأطلقوا السنة وأوفرهم إلهاما وأن حكمة العرب أشرف الحكم ².

¹ المصدر نفسه ، ص : 46 .

² أحمد زلط ، أدب الطفولة . أصوله ومفاهيمه ، المصدر السابق، ص : 53 .

ويطلق الدارس على فن الأمثال والحكم بأنه الأدب التهذيبي التعليمي المحبب إلى عالم الطفل ويعكس هذا الأدب المظاهر المتفشية في المجتمع من ظلم واستغلال وسوء التصرف الأمر الذي أدى إلى انتشار هذا الفن قصد التربية والتهذيب والاصلاح . وقد وجد هذا الجنس الأدبي منذ القدم إلى يومنا هذا لما له أهمية كبيرة في تعليم الأطفال ومن أهم خصائصها أنها موجزة ، تحمل العبرة ، سهلة الحفظ ، موجزة تلخص محتوى القصة.

الألغاز والأحاجي

بيّن الناقد أنّ ظهور الألغاز والأحاجي عند العرب كان منذ القرن السادس الميلادي إلى العصر الحاضر ويعد من الفنون الشعبية التراثية مرتبطة بالشعر الشعبي ، اهتم به العرب كثيرا، أنشئ لغرض التسلية واكتشاف مهارة الذكاء والفتنة لدى المستمع وله فوائد عديدة يحصرها الدارس في أنه ينمي الخيال بأسلوب نقدي ساخر بسيط بعيد عن التعقيد ، مبهم غالبا ما يصاغ باللغة العامية .

تكمن مهمة الألغاز في أدب الطفل الشعبي في اكتشاف ذكائه وخياله الواسع إذ لا يستطيع حلها إلا الذكي اللبيب ولهذا نجد الأطفال يتنافسون في حلها لكي يحظون بالثناء والشكر من طرف الكبار وتحفز الطفل على التفكير وتنمي ثقته بنفسه .

ثالثاً: التحليل

سنضيف بعض الشروحات والتفسيرات والتي ستشري بحث الناقد أكثر، ففي الباب الأول الخاص بالفنون الثرية التراثية لم يركز الدارس على الراوي الذي يعد العنصر الأساسي في تخليد الحكايات وإمدادها بالحياة عبر سائر العصور والأقطار . يعيد الراوي حكي ما حكي من قبل ولكن هذه الإعادة لا تعني المطابقة، بل تبقى كل رواية جديدة ومستقلة بخطابها وتكوينها اللغوي ولهذا يبقى لكل حكاية تاريخها الخاص لا نستطيع القبض عليه لأن الحكايات تصلنا عن طريق الكلام ، ولكننا لا نعرف كل المحطات التي توقفت عندها وبأي زاد استطاعت ان تبقى حية حتى وصلت إلينا . تضيع آثار رحلتها في الماضي اللامحدود . ولهذا " يشبه كلام الحكايات بالزيت لا تجف كما يجف الماء ، فإذا هرقنا الزيت على الأرض ، نرى بقعها منتشرة عليها في الغد ، بينما يكون الماء قد جف " ¹.

تشبه الحكايات هذه البقع الزيتية المنتشرة ، فتبقى ماثلة لا تمحى من الذاكرة الجماعية وكامنة في ملكة الرواة تنتظر فرصة الإنبعث من جديد للحكاية طعمه ونكهته الخاصة . وملكة الحكيم ليست في متناول كل الناس ، هناك رواة محبوبون ومرغوبون أكثر من غيرهم فللشفهية متطلباتها .

وتشرح الباحثة غراء حسين مهنا : " أن للشفهية خصائص نلمسها حين نستمع إلى حكاية شعبية أو خرافية أو سيرة ... تروى وهذه الخصائص مكون أساس من مكونات الحكيم الشعبي الشفوي بسائر فروعها، من دونها لا يكون حكيماً أو أدباً شفويًا. ذلك أن الحكاية الشعبية نص خلق ليتم سماعه وتكراره، وهو يظهر تأثير المرسل على المستمع، لأنه يتقن فن السرد. فالأسلوب الشفوي للحكايات مزود بقوة إقناع وتأثير موجهة إلى المستقبل الذي ينفعل بالحكاية، فتنتعش في ذاكرته وتحيا في وجدانه.

وتقصد الدارسة أن الشفهية وسيلة تواصل سمعي بصري إذا صحَّ القول تتطلب شروطاً في عملية الحكيم ، فعلى الراوي " أن يمثل بالإشارات والحركات والإيماء بالإضافة إلى حالات السهو ، والتوقفات المقصودة وغير المقصودة، وتغييرات نبرات الصوت والنغمات والكلام المغنى وظاهرة السجع وسائر المظاهر الجمالية لإثارة الأحاسيس والمشاعر . " ²

¹ غراء حسين مهنا ، أدب الحكاية الشعبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 1997 ، ص ، 45 .

² محمد حجوة ، الإنسان وانسجام الكون ، المرجع السابق ، ص 73 .

عرف الحكوي

كانت بعض المجتمعات في الماضي لا تحبّد حكي القصص في النهار خوفا من الإصابة بعاهة إذ يقول أحد الباحثين : " حينما كنا نطلب من أمي أو خالتي أن تروي لنا حكاية كانت تصيح : بالنهار ؟ هل تريد أن يكون لي أبناء قرع " ¹ . وتتساءل هنا ما الذي يمنع الحكوي النهاري ؟

فإذا كان للجدات والأمهات في القديم موقف رافض لحكي الخرافات بالنهار خوفا من أن يصيب القرع أبناءهن ، أو يصيب أذى جميع من يحضر الحكوي رواة ومستمعين ، فإنه موقف يفسر ، بالإضافة إلى الإعتقاد أو الخوف غير المبرر من الإصابة بالقرع بالعمل ، ذلك أن الحكاية الشعبية تحيا في الأوساط القروية ، أي في مجتمع زراعي بالدرجة الأولى ، والزراعة عمل مشرب بملامح المقدس ، حيث إنه "إذا أفرغ من الرمزية الدينية يصير أكمد ومرهقا في الأن عينه ، فلا يوحى بأي دلالة ولا يوفّر أي منفذ نحو عالم الروح" ² .

ونفهم من هذا الشرح أن نظرة الناس إلى عملهم من هذا المنظور الديني هي التي تكمن وراء تحريم الحكوي بالنهار ، لإبراز قيمة العمل بالنسبة للطفل .

زمن الحكوي

تحكى حكايات الأطفال في الغالب الأعم في المرحلة الشتوية وبالأخص حكايات الحيوان والأغوال وهذه الحكايات يحفظها الأطفال وهي التي يودون سماعها في ليالي السمر . وتتميز حكايات الشتاء بالقلق والخوف اللذين يرافقا عملية الحكوي ، فالطفل يتماهى مع البطل أو البطلة ، فيتخيّل المواقف والأحداث وينفعل معها ويرتعش داخلها ، يسافر خارج ذاته ، ينتظر النهاية حتى وهو يعرفها ومن بين هذه الحكايات الخرافية : "الحمار والذئب ، العنزة وصغارها ، اليمامة والذئب ، وكل خرافات الغيلان التي غالبا ما تصور مغامرات أطفال صغار تخلّى عنهم أبوهم أو زوجة أبيهم" ³ .

ويفسّر الباحث محمد حجّو : "أن هذه الحكايات تتناسب في موضوعاتها مع طبيعة المرحلة الشتوية ، مرحلة القلق والانتظار نمو الزرع يخاف الناس من شح السماء بالمطر وعلى الحصول الذي يعد مصدر رزقهم .

. 83 P. 1980 M. H PASOTTI . CONTE DE GHZALA AUBIER MONTAIGNE 1 نقلا عن محمد حجّو ، الانسان

وانسجام الكون .

² غراء حسين مهنا ، المرجع السابق ، ص 22 .

³ محمد حجّو ، الانسان وانسجام الكون ، المرجع السابق ، ص 68 .

وتعكس الحكايات الشعبية حياة المزارعين في عمقها وليس في أحداثها اليومية ذلك أن الأدب الشفهي انعكاس للحياة وتعبير عن شعور ولا شعور ثقافة معينة " ¹.

مكان رواية الحكايات

تروى الحكايات الشعبية "في الكانون وهو كناية عن غرفة النار ، أي المحل الذي توقد فيه النار في حفرتها المعهودة المعروفة بهذه التسمية . وحكي الكانون يكون عادة قبل تناول العشاء ، أو هو يتم أثناء تهيئته ، وتقوم به الجدة أو الأم أو الخالة أو العممة أو الأخت الكبرى . حيث يتحلق الأطفال حول موقد النار الملتهبة ، وتحكي لهم المرأة ما يطلبون من خرافات وهي تراقب قدر العشاء . وإذا كان سمر الحكي بعد تناول العشاء ، فهو بحظور الأب ، وغالبا ما ينتهي بالأحجيات والألغاز يطلب من الأطفال البحث عن حلولها ، إلى أن يغالبهم النوم أو يغالب الراوية " ².

وأما عن الحكي في فصل الصيف والخريف فيقتصر على الحكايات المرححة ففي هذه الفترة يتم فيها جني المحصول (العنب أو التين) مما يجعل الناس فرحين مبتهجين حيويين لأن الخزائن تكون مملوءة بالغلات ، فتقام حفلات الزواج والأفراح .

ويغلب الحكايات المرححة ذات الطابع الهزلي أكثر وتروى "في البيدر ، أو مكان خاص مهياً لفصل الصيف ، يصلح لتناول الطعام وحتى للنوم ، وهو الدكانة وغالبا ما يهيم تحت شجرة ليكون ظليلة بالنهار . وإذا هيم في وسط الدار بموازوة البيوت يدعى السحن . ولعل الدكانة من أصل فارسي ، حيث يعني الدكان مكانا مرتفعا على الأرض يدك ويسوى كي يستعمل للجلوس " ³.

أدب الطفل التراثي في العصر المعاصر

أصبح من النادر اليوم سرد الحكايات الشعبية للأطفال كما كان في الماضي بسبب تغير نمط العيش ، ذلك أن دخول الآلة إلى عالم الترفيه ونشر المعرفة قلص من سلطة الوسائل القديمة التي كانت تقوم بهذا الدور ،

¹ محمد حجو ، الانسان وانسجام الكون ، المرجع السابق، ص 66 .

² المرجع نفسه ،الصفحة نفسها .

³ المرجع نفسه ، ص 68 .

ويضاف إلى هذا تدرس الأطفال حيث عوض المعلم الأم أو الجدة في رواية القصص الشعبي في أوقات قليلة جدا من أيام الدراسة، ولا نجد هذا في كل المدارس .

عرف أدب الطفل قفزة نوعية في الآونة الأخيرة حيث تطور إلى ما أصبح يعرف عليه بالأدب التفاعلي، ويرتبط هذا الأدب بالحاسوب والوسائل التكنولوجية المتطورة كالهاتف والأيباد..... إلخ ضمن شبكة الأنترنت . إذ تغير نمط الحياة في العصر المعاصر والحياة المدنية المتطورة الأمر الذي جعل الطفل يتأثر بالتكنولوجيا منذ صغره في اللعب أو المطالعة .

اهتم الناقد والباحث المغربي سعيد يقطين بالبحث في هذا الأدب إذ يعرفه " بأنه مجموع الإبداعات التي تولدت مع توظيف الحاسوب ، ولم تكن موجودة قبل ذلك أو تطورت من أشكال قديمة ولكنها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في الانتاج والتلقي " ¹ .

ويشير الباحث هنا إلى أن هذا الأدب مرتبط بالوسائل التكنولوجية من أبرزها الحاسوب إذ أن هذا الأدب الحديث والمعاصر يختلف عن الأدب التقليدي الذي يعتمد على الكتب الورقية ولا يعني هذا أن أدب الطفل التقليدي ليست له أهمية أمام هذا الأدب الجديد فكلاهما مكملان لبعضهما ، فالأدب التفاعلي يستمد طاقته من الأدب التقليدي وينطلق منه ويطرأ الاختلاف فقط في وسيلة احتوائه .

ونصل في الختام إلى أهم النتائج التي استنبطناها من هذا البحث وهي :

. قبل ظهور الوسائل التكنولوجية الحديثة كانت العلاقات بين الناس أكثر قوة ، وكانت الأسر ملتحمة ومتماسكة . وساعد الحكيم في التآلف بين الناس وزرع المحبة والأخوة وجعل المجتمع في الزمن الماضي متماسكا لا طبقية ولا فروقات فيه، فالحكواتي يستقبل كل الأطفال من كل الطبقات.

وأما في المنزل في الأيام الشتوية الباردة يجتمع الأطفال حول الكانون أو تحت الأغشية الصوفية للإستماع إلى الحكايات والتعلم منها

¹ سعيد يقطين من النص إلى النص المترابط ، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط1 ، 2005 ، ص : 9

يرمي القصص الشعبي إلى هدف إصلاحى تربوي كون أن هذه القصص موجهة بالدرجة الأولى للطفل، وبانتصار البطل على الأشرار سيغرس هذا الفعل النبيل في نفس الطفل حب الخير، سيعمل منذ صغره على تنظيف نفسه من الأمراض النفسية كالكره والحقد والبغض ليتمكن من بناء شخصية سليمة.

وتنتمي القصص الشعبية إلى الأدب الوجداني الخيالي، فالطفل لما يعيش تلك الحكايات في خياله فسيتأثر بالشخصيات البطلة. ويتجلى الهدف الوجداني في تربية النشئ على تكوين مشاعر إيجابية تجاه الفضائل والجمال ويزرع فيهم كره الرذائل والقبح ويسعى بهم إلى تحمل المسؤولية الفردية والاجتماعية لتصرفاتهم، فهذا الأدب يجمع بين المنفعة والتسلية أي بين المتعة والإفادة.

. تتميز شخصية الطفل في العصر المعاصر بانها شخصية غير متزنة ، إذ يقر المربون من معلمين وأولياء أنهم يواجهون مشاكل كبيرة في التعامل مع الطفل، وذلك بسبب الوسائل التكنولوجية المتطورة وما يعرض فيها من برامج للأطفال مضمونها العنف والقتال، أحب تلك الشخصيات العنيفة وأصبح يتقمسها في حياته اليومية وأمست الآلة عالمه المحبوب فجعلته يعيش في الوحدة والعزلة عن العالم الخارجي. شكّلت له شخصية قاسية وأنانية لا يعرف معنى الأخوة وحب الآخرين والروابط الأسرية والاجتماعية، فشتان بين الطفل في الزمن الماضي والطفل في الزمن الحاضر .

قائمة المصادر والمراجع:

1. المصادر:

1) احمد زلط ، أدب الطفولة . أصوله ومفاهيمه ، الشركة العربية للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 1997.

2. المراجع:

1) سعيد يقطين من النص إلى النص المترابط ، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي ، المركز الثقافي العربي ، المغرب ، لبنان ، ط1 ، 2005 .

2) سمير سعيد حجازي ، مناهج النقد الأدبي المعاصر ، بين النظرية والتطبيق دار الافاق العربية القاهرة ط1، 2007.

3) شلتاغ عبود شرارد ، مدخل إلى النقد الأدبي الحديث ، دار مجدولاي للنشر والتوزيع، عمان الأردن .

4) عبد المنعم اسماعيل، نظرية الأدب ومناهج الدراسة المقارنة ، ج2 ، مكتبة الفلاح، 1981 .

5) عمار بن زايد ،النقد الأدبي الجزائري الحديث ، دار مجدولاي للنشر والتوزيع ، الأردن .

6) غراء حسين مهنا ، أدب الحكاية الشعبية ، الشركة المصرية العالمية للنشر ، 1997 .

7) محمد حجوج ، الإنسان وانسجام الكون ، دار الأمان الرباط، ط1، 2012.

8) M .H PASOTTI .CONTE DE GHZALA AUBIER MONTAIGNE 1980.